

كلمة عرب بين المصطلح والتاريخ

د. رمضان أم هاني

جامعة الجزائر 2

المقصود بالعرب سكان المنطقة الواسعة الذين اعطوها اسمهم فصارت تعرف ببلاد العرب، ولقد اختلف علماء اللغة في مدلول هذه الكلمة الاصطلاحي من حيث اللفظ ومصدر الاشتقاق وطبقاتها ونسبها... الخ، وقد كثرت التفسيرات اللغوية، وتضاربت الآراء وظهرت عدة نظريات وسوف نذكر من بينها مايلي:

أولا نتطرق لمفهوم كلمة العرب وأصلهم: يطلق على سكان الجزيرة العربية اسم العرب، وأقدم نص وردت فيه كلمة "عرب" هو نص آشوري يرجع إلى عام 853 ق.م إذ ورد في نص للملك الآشوري "شلمنصر الثالث"، وتحديدًا في النص المعروف باسم "نص المسلة السوداء" كما ذكرنا سابقا في الجزء الخاص بالنقوش، حيث يشار إلى الملك العربي "حنديو" الذي شارك في الحلف الآرامي الذي وقف في وجه الأطماع الآشورية، و حارب "شلمنصر الثالث" في "معركة قرقر" عام 853 ق.م⁽¹⁾ ثم يتردد اسم العرب منذ ذلك الوقت في النقوش الآشورية بصيغ مختلفة منها: Aribi و Arbi و Urbu بمعنى البادية الواقعة إلى الغرب⁽²⁾ وقد اظهر العلماء في أصل الساميين⁽³⁾ آراء متباينة و متناقضة، إلى أن تركزت الآراء حول نظريات خمس، و لمن أراد التوسع في ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب "من الساميين إلى العرب" لمؤلفه "نسيب وهيبة الخازن" و الذي وصل إلى النظريات الخمس⁽⁴⁾ ومن أهمها:

1- النظرية الأولى: وتقول بأن أصل العرب هو من جزر البحر المتوسط، أين كان السكان في هذه الجزر ثم تنقلوا إلى اليابس⁽⁵⁾.

2- النظرية الثانية: بلاد الأموريين: ويذكر أصحاب هذه النظرية أن شمال سوريا هو الموطن الأصلي للساميين أو على الأقل موطنًا أقاموا به طوال أحقاب قديمة، وأن الموطن الأصلي هو فلسطين وكنعان وفي البقاع ودمشق وما هو شمالها⁽⁶⁾.

3- النظرية الثالثة: شبه الجزيرة العربية: يقول أصحاب هذه النظرية أن شبه الجزيرة العربية هي مهد السامية، و بناء على هذه النظرية فإن الفتح العربي هو خامس موجة هجرات العرب حيث يعتبر "ديسو" أحد رواد هذه النظرية⁽⁷⁾.

مما تقدم يظهر لنا أن شبه الجزيرة العربية هي مهد الجنس السامي، وبسبب طبيعة شبه الجزيرة الصحراوية، وتزايد السكان أدى لكثرة الهجرات لأسباب عدة، لذا توجه الساميون منذ سنة 3500 ق.م إلى ما بين النهرين، فاختلطوا مع السومريين فنتج عن ذلك نشأة الشعب البابلي، وتوجه الساميون إلى مصر، واندمجوا مع الحاميين، ثم هاجر الساميون إلى بلاد الشام وفلسطين، فظهر الكنعانيون والفينيقيون، وفيما بعد ظهرت عدة ممالك منها: الأنباط، الغساسنة والمناذرة⁽⁸⁾.

والجدير بالذكر ان علماء العربية انفسهم حيارى في تعيين اول من نطق بالعربية، فبينما ذهب فريق الى أن يعرب بن قحطان كان اول من اعرب في لسانه، وتكلم بهذا اللسان العربي، ونطق بأفحصها وأبلغها، وبالتالي العربية منسوبة إليه مشتقة من اسمه، ولكنهم في نفس الوقت يجعلون العربية لسان اهل الجنة كما هي لسان آدم عليه السلام قبل ان ينحرف إلى السريانية، أي يجعلون "يعرب بن قحطان" هذا، انما يرجع الى مبدأ الخليفة. ومن نافلة القول ان نقول ان الامر لم يكن كذلك. ذهب آخرون إلى انها مشتقة من الفعل "يعرب"، بمعنى يفصح في الحديث، ومن ثم فقد أصبحت تدل على العرب لفصاحتهم، لكن البعض يرى العكس ان الفعل "يعرب" اشتقت من كلمة "عرب"، ذلك ان المرء عندما يعبر عن أفكاره باللسان، فانه يعبر عن رايه، وقد كثرت الآراء وتضاربت فيما بينها.

ويعد العرب من الشعوب العريقة في القدم، ولهذا يرى بعض المؤرخين أن كلمة "عرب" مشتقة من اسم "يعرب بن قحطان"⁽⁹⁾ فهو أول من نطق بالعربية، لأن لسان أبيه كان سريانيا.⁽¹⁰⁾ وقد عرفوا في شمال الجزيرة العربية ووسطها منذ ألفي سنة قبل الميلاد⁽¹¹⁾. أي منذ عهد إبراهيم عليه السلام.

هذا فضلا عن أن القائلين بأن "يعرب بن قحطان" هو جد العربية وموجدها عاجزون عن التوفيق بين رأيهم هذا، وبين رأيهم في أن العربية قديمة قدم العالم، وأنها لغة آدم في الجنة. ولعل هذه الآراء المتضاربة حول البعض التوفيق حيث ذهبوا إلى أن "يعرب" هو أول من نطق بمنطق العربية، وأن إسماعيل هو أول من نطق بالعربية الحجازية الخالصة، التي أنزل بها القرآن الكريم.

كما اختلف الباحثون حول تفسير معنى كلمة "عرب" ومدلولها اللفظي، فثمة آراء توضح أصل الكلمة، والمعنى الدلالي لها، فمنهم من ذكر أن "عرب" تعني ساكن الصحراء "أي البدو الرحل"⁽¹²⁾.

وفرق العبرانيون في التسمية بين الحضرم والبدو، إذ عندما يذكرون الحضرم يسموهم بأسماء قبائلهم أو بأسماء المواضع التي يتزلون فيها. أما تعميم كلمة عرب على سكان الجزيرة العربية فقد جاء متأخرا على أثر احتكاك العبرانيين بالقبائل التي تقيم في البادية.

لذا يرى بعض الباحثين المحدثين أن كلمة "عرب" مشتقة من الكلمات العبرية التالية ذات الصلة بالبدو و البادية:

أ- أرابا: وتعني الأرض الداكنة، أي المغطاة بالكأ.

ب- إرب: ومعناها الحرية وعدم الخضوع لنظام ما، وهذه من صفات البدو.

ج- عرابة: بمعنى الجفاف والصحراء.⁽¹³⁾

و يحددها ياقوت الحموي في معجم البلدان: << هي عربية في الأصل اسم لبلاد العرب >> إلا أنه تراجع وجعلها من تمامه وهي اسم بلد أولاد إسماعيل⁽¹⁴⁾.

وسمي العرب عربا نسبة إلى بلدهم "العربات"، وعربة هي مكة، وباحة العرب، و دار أبي الفصاحة إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام - وفي هذا الصدد يقول ابن منظور: << قال وأقامت قريش بعربة فتنخت بها وانتشر سائر العرب في جزيرتها فنسبوا كلهم إلى عربة لأن أباهم إسماعيل صلى الله عليه وسلم بها نشأ وربى أولاده فيها فكثروا فلما لم تحتملهم البلاد انتشروا وأقامت قريش بها >>⁽¹⁵⁾.

وقد ذكر هيرودوت (430-484 ق.م) العرب في كتابه الثاني، عندما أطلق على بلاد العرب لفظ العرب << Arabie >> ويقصد بذلك البادية وشبه جزيرة العرب والأرضين الواقعة إلى الشرق من نهر النيل، ومن ثم فقد أدخل هيرودوت سيناء و كل الأقسام الشرقية من مصر - و الواقعة بين سواحل البحر الأحمر و نهر النيل - في بلاد العرب⁽¹⁶⁾.

وقد أكد استرابون (66ق.م - 24م) ما ذهب إليه هيرودوت وزاد إلى ذلك أن العرب تضاعف عددهم على الضفة الغربية من البحر الأحمر، ووصف مدينة << قفط >> جنوبي قنا بأنها مدينة تحت سلطة العرب وأغلبية سكانها من العرب⁽¹⁷⁾.

وبالنظر إلى الجدل الكبير حول التسمية بين المؤرخين والباحثين فيما يخص كلمة عرب ومدلولها... جاء القرآن الكريم، ليكون أول مصدر ورد فيه لفظ العرب للتعبير بوضوح عن معنى قومي يتعلق بالجنس العربي، وذلك في عدة سور منها:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ و﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا

لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِّسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١﴾.

ليضع حدا لهذا الجدال فجاءت كلمة "عربي" مذكورة فيه أكثر من عشرين مرة في سور مدنية وأخرى مكية⁽¹⁸⁾. فأصبحت كلمة عرب، علما للعرب جميعا، أي للتعبير عن الجنس العربي.

ومن الأدلة الأخرى التي تؤيد ذلك، وأقرب النصوص المدونة القديمة ورد فيه اسم "عرب" هو نقش النمارة⁽¹⁹⁾ كتب في مدفن امرئ القيس بن عمر، فهذا النص مسجل قبل الإسلام بنحو ثلاثة قرون-الذي ذكرناه سابقا-، ويظهر منه إطلاق لفظ العرب على هذا الجنس من سكان الجزيرة العربية جميعا، بمعنى أن امرئ القيس كان أعظم ملك عربي خضعت له جميع ملوك العرب الذين كانت لهم ممالك قريبة منه في شمال الجزيرة العربية⁽²⁰⁾.

ثانيا: طبقات العرب وأقسامهم: اتفق معظم النسابون العرب والإخباريون والمؤرخون على تقسيم العرب⁽²¹⁾ إلى طبقتين هما: العرب البائدة، والعرب الباقية، و يعنون بالبائدة، القبائل العربية القديمة التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية ثم بادت، لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلها وقبائلها هي: عاد وثمود وعمليق (العمالقة)، وطسم، وجديس، وأميم، وحاسم، وقد يضاف إليهم أحيانا عييل، وجرهم الأولى، و دبار ويرجعون نسبهم إلى سام بن نوح⁽²²⁾.

وأما العرب الباقية الذين يسمون أيضا بالمستعربة والمستعربة، فهم بنو يعرب بن قحطان، و بنو معد بن عدنان بن أد، و كان يعرب بن قحطان أول من انعدل لسانه عن السريانية إلى العربية وتكلم بها⁽²³⁾. وقد تعرب قحطان وجماعته عندما نزلوا اليمن واختلطوا بالناس هناك، وأخذوا عنهم اللغة العربية⁽²⁴⁾.

أما ابن خلدون فقسم العرب إلى أربعة أقسام متعاقبة في المدى الزمني: العرب العاربة وهم البائدة، ثم العرب المستعربة، وهم القحطانية من حمير و أهل اليمن و فروعها الذين يمثلون أهل جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج، والغساسنة والمناذرة، وأضاف العرب المستعجمة وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الإسلامية فيما بعد⁽²⁵⁾.

ونلاحظ هنا أن ابن خلدون اعتمد على التسلسل التاريخي في تقسيمه هذا، ويذهب إلى أن جميع العرب هم من ولد إسماعيل عليه السلام، لأن عدنان وقحطان يستوعبان العرب العدنانية والقحطانية⁽²⁶⁾.

اتفق الرواة أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث القدم إلى طبقات: عرب بائدة، وعرب عاربة، وعرب مستعربة، على أن هناك من يجعلهم طبقتين: بائدة وباقية، فاما البائدة فهم الذين كانوا عربا صرحاء خلصاء ذوي نسب عربي خالص، والباقية فهم الذين ليسوا عربا خلصا وسنذكرهم كالتالي:

1- العرب البائدة: هي الأقوام التي أجمع على ذكرها المؤرخون والنسابة العرب بأنها اندثرت أخبارها قبل الإسلام، إلا ما قصته الكتب السماوية أو حفظته الآثار ومنهم عاد، التي كانت تسكن في الأحقاف، ثمود والحجر (مدائن صالح) شمالي خير، طسم وجديس باليمامة، والعمالقة بالحجاز وتهامة ونجد والشام ومصر⁽²⁷⁾.

ويقسم المؤرخون والنبابون العرب القبائل البائدة إلى فئتين: فئة العماليق من نسل لاو بن سام، وفئة القبائل الأخرى من نسل إرم بن سام⁽²⁸⁾.

ويقول ابن خلدون: >> وكان لهذه الأمم ملوك ودول في جزيرة العرب، وامتد ملكهم فيها إلى الشام ومصر في شعوب منهم. ويقال أنهم انتقلوا إلى جزيرة بالقرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام، فسكنوا جزيرة العرب بادية محيمين، ثم

كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور، إلى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان. وهؤلاء العرب كانوا شعوبا كثيرة وهم: عاد وثمود وطسم وأميم وعيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضورا والسلفات، ويسمى أهل هذا الجبل العرب العاربة، بمعنى الرساحة في العروبة، أو بمعنى الفاعلة للعروبة والمبتدعة لها، بما كانت أول أجيالها، وقد تسمى البائدة أيضا بمعنى الهالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم»⁽²⁹⁾.

أ- عاد أو قوم هود: اعتبر المؤرخون "عادًا" من أقدم القبائل العربية البائدة⁽³⁰⁾، ورد ذكرها في القرآن الكريم عدة مرات، وذكروا باسم المنطقة التي سكنوا فيها "الأحقاف"⁽³¹⁾.

وقد يفيد الباحث في هذا الموضوع المتعلق بالأقوام والشعوب التي سكنت شبه الجزيرة العربية ما جاء في القرآن الكريم من وصف لمدينتهم وإسرافهم في البناء، وضخامة ثروتهم، خصوبة أراضيهم ووفرة محاصيلهم الزراعية، وكل ظروف حياتهم، وفي الأخير يوضح كيف هلكوا، ومن الآيات التي تصف هلاكهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرٌ نَحْنُ نَحْنُ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ تَذْمِيرُ كُلِّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ وفي عاد إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٤﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْمِ ﴿٣٥﴾﴾ وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٣٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ ﴿٣٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٣٨﴾﴾.

وقد ذهب المؤرخون إلى وجود طبقتين لقوم عاد هما: عاد الأولى وعاد الثانية، في إشارة إلى القرآن الكريم من أن هناك عادا الأولى وعادا الثانية، وأن عاد الأولى إنما هم عاد ارم، الذين يسكنون الأعمدة التي تحمل الخيام، وأن عادا الثانية إنما هم سكان اليمن من قحطان وسبأ وتلك الفروع⁽³⁵⁾.

وقد أدت الكشف الأثرية الحديثة إلى الكشف عن بقايا عمران متسع فوق وحول جبل إرم شرقي العقبة، ومنها معبد أقيم فوق الجبل، وعدد من النصب التي تذكر اللات والعزى⁽³⁶⁾.

ويذهب المؤرخون العرب إلى القول بأن مساكن عاد كانت تقوم في الأحقاف من اليمن، بين اليمن و عمان إلى حضر موت⁽³⁷⁾، وذلك استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾. ولكن القرآن الكريم لم يحدد موقع الأحقاف بالنسبة لشبه الجزيرة العربية وإنما حدده المفسرون، ولما كانت كلمة الأحقاف تعني الرمال، فقد اتجه الكثير من الإخباريين إلى الصحراء يبحثون عن مواضعهم⁽³⁹⁾.

ب- ثمود أو قوم صالح: أجمعت الكتب العربية على أن ثمودا كان مقامها بالحجر إلى وادي القرى بين الحجاز والشام⁽⁴⁰⁾، والمعروف بمداين صالح، وقد زارها أكثر من مستشرق، ودرسوا بقاياها الأثرية، وقرأوا ما عليها من نقوش نبطية⁽⁴¹⁾، فاکتشفوا معلومات تؤكد ما جاء لدى الكتاب القدامى من الإغريق والرومان أمثال: <<أخبار خيلاس>> و<<ديودور الصقلي>> و<<بليبي الكبير>> و<<كلوديوس بتولميس>> وصاحب كتاب الطواف حول البحر الأرتيري -المجهول- وغيرهم كثير⁽⁴²⁾.

أما القرآن الكريم، فقد ذكرهم في كثير من السور منها: في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿١٦٥﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٦٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ

اسْتَضْعَفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٣﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴿٤٥﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُجِيبُونَ النَّاصِحِينَ ﴿٤٦﴾ وَأَيْضًا فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٧﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٨﴾ وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٤٩﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٥٠﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ الْكَرِيمِ ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ الْعَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٣﴾ وَكَذَا ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (43).

و مما جاء فيه أن قبيلة ثمود قد بوأها الله في الأرض واتخذت من الحجر مسكنها لتتخذ من سهولها قصورا وتنحت من الجبال بيوتا، فأرسل إليهم أخاهم صالحا رسولا، يأمرهم بعبادة الله وطاعته، وينهاهم عن الفساد في الأرض (44). وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (45). ويذكر أورانبيوس أن منطقة ثمود كانت تقع على حدود المقاطعة العربية أي في الجزء الشمالي الغربي من بلاد العرب، ونفس الشيء، يشير إليه بطليموس في جغرافيته إلى كل من:

ثمود (Thmyditai-Thamydenoi) التي تسكن في الجزء الشمالي الغربي من بلاد العرب، والمقصود هنا قبائل ثمود، وكان معبدهم الرئيس الغوافه التي تقع في أقصى جنوب إقليم حسمي (46). نلاحظ أن المصادر العربية، قد أكدت هذه المواقع، حيث يشير الطبري إلى منازل ثمود: >> كانوا يسكنون الحجر إلى وادي القرى بين الحجاز والشام << (47)، أما المسعودي فيذكر >> أن منازل ثمود كانت بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي، وديارهم بفج الناقة وأن بيوتهم إلى وقتنا هذا أبنية منحوتة في الجبال، ورسومهم باقية، وأنارهم بادية وذلك عن طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى << (48).

و أصبحت نصوص الثموديين هي الشاهد الحي على مدى انتشارهم، وهي نصوص قصيرة، وقد وجدت نماذجها خارج وادي القرى في تبوك و الطائف و في قلب نجد و شمالها وفي شبه جزيرة سيناء، و في مناطق متفرقة من شرق الأردن، وكذا في شرقي دمشق، وفي أطراف اليمن أيضا، و كل هذا يدل على سعة انتشار قوافلهم و كثرة اتصالاتهم التجارية (49).

ج- طسم وحديس: يرجع المؤرخون نسب قبائل طسم إلى لؤز بن ارم بن سام (50)، ولا يعرف من أمرهم غير ما ورد من القصص المدونة في كتب المؤرخين العرب (51) أمثال ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ الذي خصص لهم عدة صفحات في كتابه المذكور سابقا (52). وأهما كانا قرييين بعهد عاد الأولى، أما موطنهما فكان في منطقة اليمامة، لكن يبدو أن هذا لم يكن هو الوطن الأول، ويرجع أن يكون بداية استقرار "طسم" في منطقة العلا، ثم انتقلت بعد ذلك إلى منطقة اليمامة، يعود السبب ربما إلى عوامل اقتصادية جعلتهم يتحولون إلى هذه المنطقة (53).

وقد اشتد الخلاف بين القبيلتين، ووقعت حروب قادتهما إلى الفناء، ويعود السبب إلى أن ملك قبيلة طمس اسمه عمليق (عملق)، اشتهر بالجهل والفسق، فأصبحت سيرته كثيرة القبح والأذى، فاستبد بقبيلة حديس، وأذاقها ظلما

وذلا. وقد طمع بهما التبابعة ملوك اليمن في بداية القرن الخامس قبل الميلاد واستولوا على بلادهم⁽⁵⁴⁾، حيث كان فناء طسم على يد جدیس، وفناء جدیس على يد الحميريين، فلحق القومان (طسم و جدیس) بعاد وثمود، وصاروا من العرب البائدة⁽⁵⁵⁾.

د- العمالقة: يرجع الإخباريون العماليق إلى << عمليق بن لوذ بن سام بن نوح >>⁽⁵⁶⁾، ويتفق الكتاب القدامى على أن العماليق عرب صرحاء، وهم من أقدم العرب وخصوصا أهل شمالي الحجاز مما يلي جزيرة سيناء⁽⁵⁷⁾، وأما أصل كلمة << عماليق >> أو عمالقة، فمجهول، وإن كانت هناك آراء تذهب إلى أنه منحوت من اسم قبيلة عربية أطلق عليها البابليون اسم (ماليق) أو (مالوق) وأضاف إليها اليهود لفظ << عم >> أي الشعب أو الأمة، فقالوا (عماليق) ثم جاءت العربية فقالت عماليق أو عمالقة، لتتحول الكلمة إلى طائفة كبيرة من العرب القدامى⁽⁵⁸⁾.

ثانياً: العرب الباقية: هناك عدة تقسيمات حسب ما يذكرها الكتاب القدامى والنسابون العرب عن أصلهم، كالقول بالعرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة، ومهما تعددت التسميات والتقسيمات فإنه من المؤكد أن العرب الباقية هم العرب العاربة والعرب المتعربة أو المستعربة على حد سواء، وهم العرب الذين لم يختفوا، واستمروا في الوجود رغم الصراعات والحروب بين بعضهم البعض، وبينهم وبين غيرهم من الأمم المجاورة لهم.

وعلى هذا الأساس فالعرب الباقية هم العرب الذين يعيشون في بوادي شبه الجزيرة العربية، وفي مدنها وقراها، حيث أنشأ البعض منهم ممالك ودولا وحضارات، في الجنوب والوسط وفي الشمال من شبه الجزيرة العربية كالمعنيين، والسبئيين والحميريين، والتدمريين، والمناذرة، والغساسنة والأنباط، وآل كندة... وغيرهم.

أ- القحطانيون⁽⁵⁹⁾: وهم من العرب العاربة، وقحطان الذي يرد في الكتب العربية هو يقطان الذي يرد اسمه في سفر التكوين، وهو قحطان بن عابر بن شالخ ابن ارفحشد بن سام بن نوح عليه السلام، في رأي الكتاب القدامى⁽⁶⁰⁾. وأطلق على نسل قحطان باليمنيين، والقحطانيين، والحميريين، والسبئيين⁽⁶¹⁾، بينما أطلق على نسل إسماعيل بن إبراهيم العدنانيين، والتزاريين، والحجازيين، والاسماعيليين وصار هذان اللفظان يردفان عرب الجنوب وعرب الشمال⁽⁶²⁾. وقد سكن اليمن بعد المعنيين، ويعرب بن قحطان هو الذي يقال أنه أول من نطق بالعربية، وقد أخذها عن العرب البائدة⁽⁶³⁾، ولقبه الشعراء "رب الفصاحة" فقال بعضهم:

فما مثل قحطان السماحة والندى ولا كابنه رب الفصاحة يعرب⁽⁶⁴⁾.

وكان أهل الجنوب يعيشون عيشة قرار واستقرار، وكان لسان أهل الجنوب يشمل لهجات شتى أهمها: المعينية، والسبئية، والقتبانية، والأوسانية، والحضرية، وهي قرية من اللهجات الحبشية السامية⁽⁶⁵⁾.

وقد كان السبق لأهل الجنوب على عرب الشمال، في إنشاء حضارة خاصة، بينما ظل معظم الشماليين يعيشون في بيوتهم التقليدية المصنوعة من الشعر، وينتقلون من مكان إلى آخر طلبا للعيش والحياة⁽⁶⁶⁾.

ب- العدنانيون⁽⁶⁷⁾: فيقال لهم العرب المستعربة، وينتسبون إلى عدنان ابن أدد من ولد نابت بن الهيمس بن تيمن بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم، فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم أو المعديون من ولد معد بن عدنان⁽⁶⁸⁾.

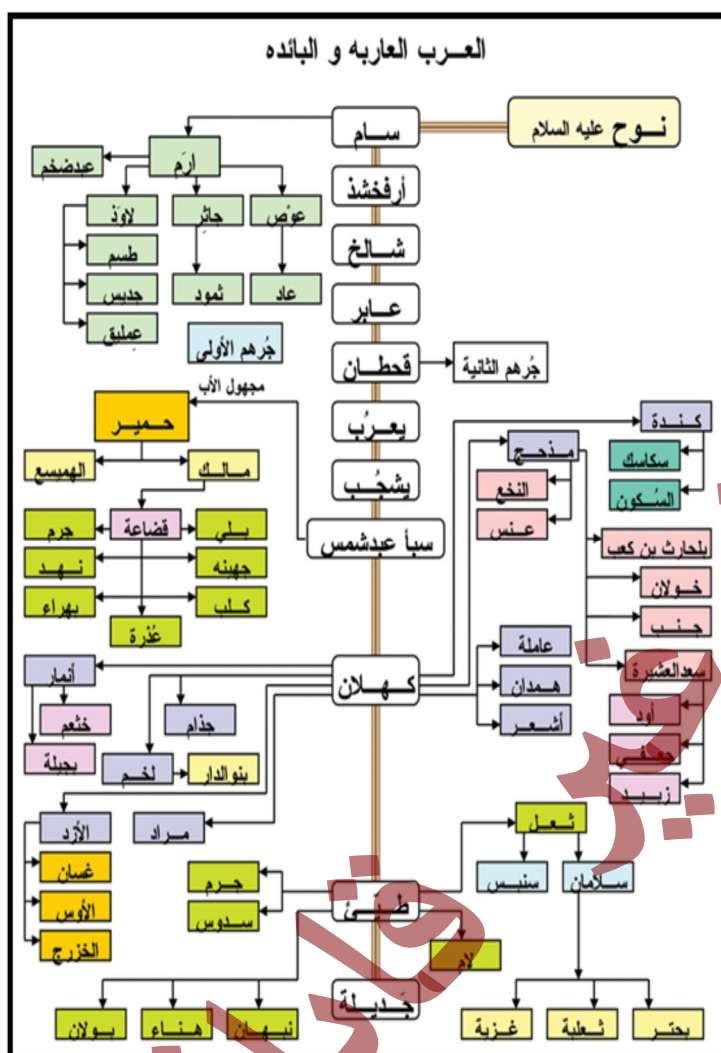
وقد سموا بالعرب المستعربة لأن إسماعيل كان يتكلم العبرانية، فلما نزلت جرهم من القحطانية بمكة وسكنوا مع إسماعيل وتزوج منهم، وتعلم هو وأبناءؤه العربية، سموا المستعربة، وهم من البدو والحضر الذين يسكنون أواسط جزيرة العرب وبلاد الحجاز إلى بادية الشام⁽⁶⁹⁾.

وكان لسان أهل الشمال يشمل عدة لهجات منها: اللحيانية، وقد سمي العلماء هذه اللهجة العربية الشمالية باللحيانية لأنه ذكر فيها بنو لحيان، والتمودية لشهرة بني ثمود قبل الإسلام في نجد وشمال جزيرة العرب، والصفوية نسبة لجبل الصفاء الموجود في بادية الشام والنبطية⁽⁷⁰⁾.

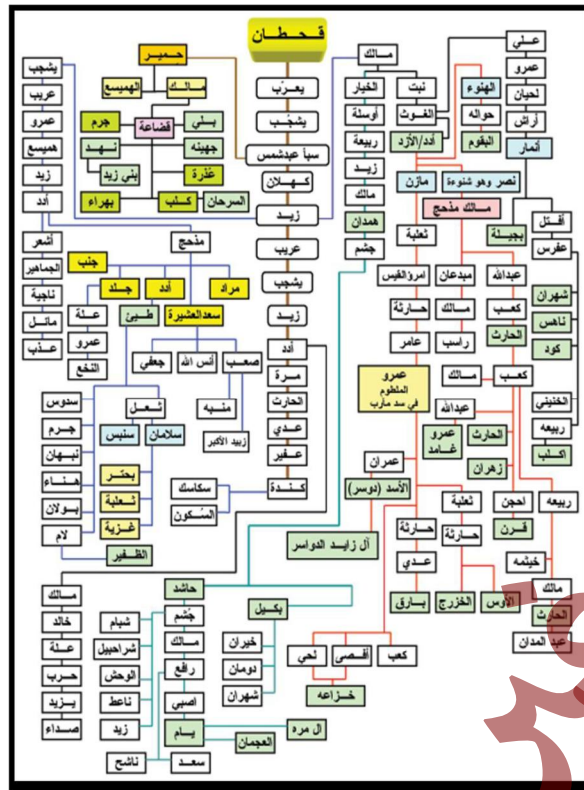
وقد كان العداء مستحكماً بين العدنانيين والقحطانيين منذ القدم، حتى أن كلا منهم اتخذ روايات وأشعاراً، حيث يتفاخر أصحابهما بعدنان أو قحطان، بل تجاوز هذا التباهي بارتباط كل فريق بجماعة من الأعاجم بروابط الدم والنسب⁽⁷¹⁾، حتى أن كلا منهم اتخذ شعاراً في الحرب يخالف شعار الآخر، فاتخذ المضريون العمائم والرايات الحمر، واتخذ أهل اليمن العمائم الصفرة. وكان توالي الأحداث والوقائع الحربية يزيد في العداء بينهم، ويعود هذا العداء إلى ما كان بين الحضارة والبداءة من نزاع طبيعي، ومن أوضح الأمثلة العداء بين أهل المدينة من أوس وخزرج، ولم يزل الاختلاف بينهم على الرغم من محاولة الإسلام توحيد الأمة العربية⁽⁷²⁾.

وجملة القول أن نظريات الأنساب عند العرب تعرضت إلى تحفظات وانتقادات من قبل العلماء المسلمين والمستشرقين على حد سواء، وقد اعتمدوا بعضهم على أدلة تاريخية وقرآنية وأحاديث نبوية، حاولوا من خلالها التشكيك في سلسلة النسب العربي وأصوله، ومن ثم وقع الاخباريون العرب في أخطاء كثيرة نتج عنها اضطراب في رواياتهم المختلفة وآراء متعددة حول هذا الموضوع.

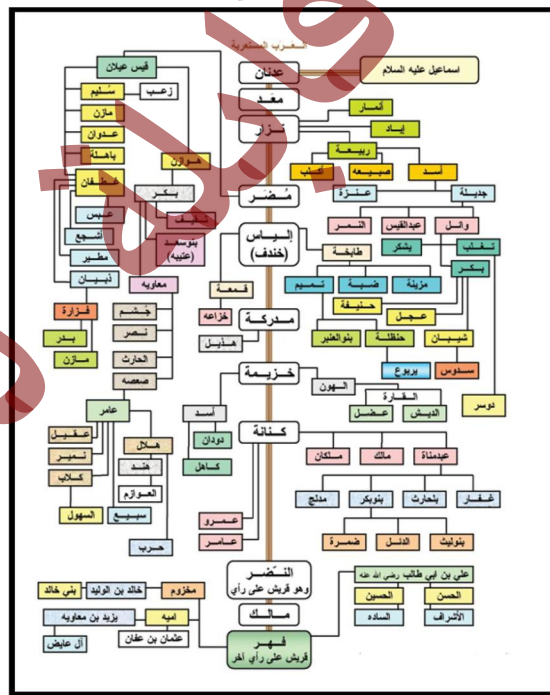
ومن هنا نرى أن مسألة الأنساب عند العرب ظلت تحتل مكانة مرموقة في المجتمع سواء كان ذلك سلباً أو إيجاباً وان كانت إيجابياتها أكثر من سلباتها في حفظ الأنساب والأنواع البشرية في المجتمع على مر الزمن. وبطريقة الأنساب استطعنا أن نعرف أسماء القبائل العربية وتنوعها واختلافها أو اتفاقها حول قضايا اجتماعية أو سياسية معينة، بل وبهذه الطريقة عرفنا أيضاً طبقات المجتمع وتقسيمها وترتيبها تبعاً للقبيلة أو الجد الذي تنتمي إليه. كما عرفنا أن علم الأنساب عند العرب كان عاملاً رئيسياً في ازدهار الأدب والطرائف والروايات التاريخية، التي أعطت دفعا قويا للثقافة العربية المتميزة والتي مازالت لحد الآن تشكل ينبوعاً متدفقا للإبداع الأدبي والإلهام الفكري، كما أن علم الأنساب جعل العائلة العربية في وحدة متماسكة على امتداد العصور التاريخية.



• الملحق رقم 02: القحطانيون



• الملحق رقم 03: العدنانيون



شجرة أنساب العرب

اعداد و تنسيق: علي الحارثي

Almahrah.net

الهوامش

- (1)- هند بنت محمد التركي، مملكة قidar، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري خلال الالف الأول ق.م، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية 1432هـ، ص 33.
- (2)- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر 2011، ص 43.
- (3) - "الساميون" اسم ظهر لأول مرة في سنة 1781م في دراسات المستشرقين حيث قال "شلوزر" في "فهارس الأدب الشرقي و التوراتي" مجلد 8، ص، 161 عند الكلام عن اللغة الكلدية: "من المتوسط إلى الفرات، و من بلاد النهرين إلى شبه الجزيرة العربية تسود، كما هو معروف، لغة واحدة. و عليه فالسوريون و البابليون و العبريون و العرب كانوا أمة واحدة. و الفينيقيون أيضا يتكلمون بهذه اللغة التي أود أن أدعوها "السامية". استند شلوزر في تسميته هذه إلى الفصل العاشر من سفر التكوين، وكانت التوراة في ذلك الوقت مرجعا تقليديا. و لذلك جاءت تسميته محض اصطلاح، لا ينطوي على أي تمييز عنصري. نسيب وهيبه الخازن، من الساميين إلى العرب، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان 1962، ص 9.
- (4)- للتفصيل أكثر أنظر نسيب وهيب الخازن، المرجع نفسه، ص 10-18.
- (5)- نسيب وهيبه الخازن، نفسه، ص 10.
- (6)- نفسه، ص 16.
- (7)-رينه ديسو، العرب قبل الإسلام، ت. عبد الحميد الدواخلي، الدار القومية للطباعة والنشر 1959، ص 55-56.
- (8)- فاطمة قدورة الشامي، تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري، من العصر الجاهلي الى العصر الاموي، دار النهضة العربية، بيروت 1997، ص 17.
- (9)- ايلي مخائيل قطرميز، أثر التفاعل الحضاري، بين البيزنطيين والعرب في الأدب العربي، مكتبة السائح، طرابلس 2004، ص 7؛ محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999، ص 137-138.
- (10)- سمير عبد الرزاق قطب، أنساب العرب، دار مكتبة الحياة، النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1975، ص 39.
- (11)- ايلي مخائيل قطرميز، أثر التفاعل الحضاري، بين البيزنطيين والعرب في الادب العربي، مكتبة السائح، طرابلس 2004، ص 7-9.
- (12)- هند بنت محمد التركي، المرجع السابق، ص 34؛ محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 140-141.
- (13)- محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، لبنان 2009، ص 26؛ فاطمة قدورة الشامي، المرجع السابق، ص 19.
- (14)- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة عربية، ج4، دار صادر، بيروت 1977، ص 96.
- (15)- ابن منظور، (لسان العرب)، ج2، اعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت لبنان 1970، ص 723.
- (16)- Hérodote, Histoire, trad. Larcher avec des notes de Bochard et d'autres, Charpentier Libraire- éditeur, paris 1850, II, 8-11
- (17) Strabon, Géographie, trad. Amédée Tardieu, tome III, Bibliothèque de L'institut, Librairie de L'hachette et Cie, paris 1867, XVI, 4-25.
- (18)- القرآن الكريم، سورة يوسف، (الآية 2)، سورة الرعد، (الآية 37)، سورة النحل، (الآية 103).
- (19)- أنظر الملحق رقم: 01.
- (20)- أحمد أبو الفضل، دراسات في العصر الجاهلي، الكتاب الأول، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة 1969، ص 22-24.
- (21)- أنظر الملحق رقم: 02.

- (22) - الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، ج1، ط2، دار المعارف، القاهرة 1968، ص ص203-205.
- (23) - عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت 1964، ص 44؛ أحمد أبو الفضل، المرجع السابق، ص55.
- (24) - محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص30.
- (25) - عبد العزيز سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية 2002، ص83؛ عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2000، ص ص17-18.
- (26) - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ص17-18.
- (27) - سمير عبد الرزاق القطب، المرجع السابق، ص59.
- (28) - الطبري، المصدر السابق، ج1، ص ص203-207؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 1987، ص ص78-79.
- (29) - عبد الرحمن ابن خلدون، (كتاب العبر)، المصدر السابق، ص ص21-22.
- (30) - المسعودي، (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، ت. يوسف داغر، ج2، ط5، دار الفكر، بيروت 1973، ص40.
- (31) - القرآن الكريم، سورة الأحقاف، (الآيتان 1-2).
- (32) - القرآن الكريم، سورة الأحقاف، (الآيتان 24-25).
- (33) - القرآن الكريم، سورة الذاريات، (الآيتان 41-42).
- (34) - القرآن الكريم، سورة الحاقة، (الآيتان 5-8).
- (35) - أحمد أمين سليم، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1997، ص ص78-79.
- (36) - عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2010، ص138.
- (37) - المسعودي، (مروج الذهب)، المصدر السابق، ج2، ص ص40-41.
- (38) - القرآن الكريم، سورة الأحقاف، (الآية 21).
- (39) - السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر 2011، ص56.
- (40) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص89؛ المسعودي، (مروج الذهب)، المصدر السابق، ج1، ص42.
- (41) - علي معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ط1، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، بيروت 2004، ص103.
- (42) - لويس موزل، شمال الحجاز، ت. عبد المحسن الحسين، ج1، مجموعة دراسات تحليلية للنصوص المتعلقة بالخريطة التاريخية، ب.ت، ص92؛ Plin, Histoire Naturelle, trad.D'Emile Littré, ed.Dubochet, paris 1848-1850, VI,XXXII,14 ; Diodore, III,44.
- (43) - القرآن الكريم، سورة الأعراف، (الآيتان 73-79)، سورة الحجر، (الآيتان 80-84)، سورة الشعراء، (الآيتان 141-159)، وسورة النمل، (الآيتان 45-53)، وسورة فصلت، (الآيتان 15-17)، وسورة الذريات، (الآيتان 43-45)، وسورة النجم (الآيتان 50-51)، سورة هود، (الآيتان 61-68)، وسورة القمر، (الآيتان 23-32)، وسورة الحاقة، (الآيتان 4-5)، وسورة الشمس، (الآية 11-15).
- (44) - علي معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ط1، دار المنهل اللبناني، بنان 2004، ص ص103-106.
- (45) - القرآن الكريم، سورة الشعراء، (الآيتان 154-157).
- (46) - نقلا عن لويس موسل، المرجع السابق، ص92؛ منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ الدول الجنوبية في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، بغداد 1980، ص125؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ط2، جامعة بغداد 1993، ص324.

- (47) - الطبري، (تاريخ الرسل)، المصدر السابق، ج1، ص ص 226-227؛ منذر عبد الكريم البكر، المرجع نفسه، ص125.
- (48) - المسعودي، (مروج الذهب)، المصدر السابق، ج2، ص42.
- (49) - عبد العزيز صالح، تاريخ شبه جزيرة العرب في عصورها القديمة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 2010، ص140.
- (50) - الطبري، (تاريخ الرسل)، المصدر السابق، ج1، ص207؛ منذر عبد الكريم البكر، المرجع السابق، ص127.
- (51) - جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص339.
- (52) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ط1، ص ص 271-272.
- (53) - محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص ص 167-168.
- (54) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص ص 352-353؛ علي معطي، المرجع السابق، ص116.
- (55) - المسعودي، (مروج الذهب)، المصدر السابق، ج2، ص ص 111-119.
- (56) - الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، المصدر السابق، ج1، ص207.
- (57) - أحمد أبو الفضل، المرجع السابق، ص84؛ جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص346.
- (58) - محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص178؛ أحمد أمين سليم، (جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة)، المرجع السابق، ص82.
- (59) - أنظر الملحق رقم: 03
- (60) - أحمد أبو الفضل، المرجع السابق، ص84؛ سفر التكوين، الإصحاح 11، الآية: 12-15.
- (61) - سمير عبد الرزاق القطب، المرجع السابق، ص39.
- (62) - عبد المنعم الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب، م1، دار ومكتبة الهلال، لبنان 2006، ص32.
- (63) - سمير عبد الرزاق قطب، المرجع السابق، ص39.
- (64) - جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص226؛ عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، م1، ص33.
- (65) - عبد المنعم الهاشمي، المرجع نفسه، ص33.
- (66) - عبد المنعم الهاشمي، نفسه، ص32.
- (67) - أنظر الملحق رقم: 04.
- (68) - عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص67.
- (69) - المسعودي، (مروج الذهب)، المصدر السابق، ج2، ص ص 71-72.
- (70) - عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، م1، ص ص 32-33.
- (71) - حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر الجاهلية، ط4، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 2006، ص ص 61-63.
- (72) - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ج1، ص ص 296-297؛ عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، م1، ص34.